استدعاء الشخصيات الأسطورية في رواية سلالم ترولار لسمير قسيمي

Recalling Mythical Characters in Kacimi's Salalim Trolar

د- علي كرباع *

أد- العيد حنكة ♣

تاريخ الإرسال: 2022/07/20	تاريخ القبول: 2022/10/11	تاريخ النشر: 2022/11/10

الملخص:

تتناول هذه الدراسة توظيف الشخصيات الأسطورية في رواية "سلالم ترولار"، ولكشف الغاية من استدعائها لتكوين تلك الأحداث بصورة تجسد الصراع الموجود على أرض الواقع في الساحة الجزائرية .

تم استدعاء هذه الشخصيات لتلعب دور شخصيات حقيقية في الواقع السياسي، خاصة في المدة الأخيرة قبل وأثناء الحراك الشعبي.

هذه الدراسة تسعى للكشف عن الجوانب الجمالية والفنية التي أضافها حضور هذه الشخصيات الأسطورية على الرواية، ومدى التناسق بين الحقيقة الموجودة والخيال الموحي .

الكلمات المفتاحية: استدعاء الشخصيات، الشخصية الأسطورية، الصراع الداخلي.

Abstract:

This paper examines how have mythical characters been represented in Samir Kacimi's Salalim Trolar and identifies the reasons for which these characters are recalled to incarnate the conflict on the Algerian ground. These characters are recalled to play the roles of real figures in the actual political realities especially recently before and after the Public Hirak.This study seeks to identify the aesthetic and artistic dimensions brought by the

*جامعة الوادي الجزائر korbaa-ali@univ-eloued.dz

♣جامعة الوادي الجزائر laid-henka@univ-eloued.dz

recalling of these mythical characters in the novel, as well as to check the degree of consistency between the de facto reality and fictional work.
***Key words**: Recalling the characters, Mythical Character, Internal conflict.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: علي كرباع korbaaali@gmail.com

مقدمة:

تعتبر الأسطورة من أهم الموروثات الشعبية قديما، وأصبحت أداة استلهام لكثير من المبدعين يخفون من ورائها مقصودهم أمام القارئ، بغية التعمق في تحديد المعنى لاعتبارها تحمل دلالات ومعان يرمز إليها من خلال استحضارها.

1- الأسطورة والأبعاد والدلالات:

الأسطورة سواء أكانت حقيقية كآلهة تعبد، أو أشخاص لهم سمة خاصة عاشوا فترة زمنية بعيدة، أو أشياء وليدة الخيال ومعتقدات الشعوب نتيجة ثقافة مستوحاة من موروثهم الشعبي، تبقى تحمل تلك الدلالة والرمزية التي أغرت المبدعين وحملتهم على استدعائها في كتاباتهم الشعرية والنثرية.«وعادة ما نجد في الأساطير مشاعر إنسانية جياشة وأحاسيس وتصورات ومواقف تطلعنا على فلسفة الإنسان في الوجود وعلى محاولاته الفكرية الأولى والتي تتضمن خلاصة تجاربه وماضيه، كيف يستنتج من هذه التجارب منطقه ومفاهيمه وتعامله مع واقعه، وفق منطق خاص ووفق مضامين أخلاقية تمت صياغتها في قوالب أدبية ذات خصوصية توارثتها الأجيال وعدلت فيها، وأضافت إليها مما جعل الأسطورة محل عمل دائب لا يتوقف »[1].

فهذه الأسطورة هي عبارة على مجموعة تجارب تُنقل من جيل إلى جيل حتى تصبح الشخصية الأسطورية عبارة على رمز لتلك المواقف المتشابهة، يقول أحمد زياد محبك «لقد كانت الأسطورة بالنسبة للإنسان في القديم، التاريخ والفلسفة والحكمة والشعر والعلم والأدب والغناء والفن، وهي بالنسبة إلى الإنسان اليوم رديف لذلك كله لا غنى عنها، وليس منها بد، وهي بالأمس واليوم جماع لأنشطة كثيرة فيها التفكير والانفعال والتوهم

والإدراك والتمني والخوف والطموح والانكسار، وفيها الخلق والإبداع وغير ذلك من الأنشطة والقوى التي يتميز بها الإنسان وتنعكس في الأسطورة التي تمثل في الحقيقة شخصيته »[2].

فالشخصية الأسطورية هي امتداد لفلسفة الحياة التي يستوحي منها المبدع فلسفته الخاصة لنقلها كأداة اقناعيه أو مشابهة لنموذج الحياة الثانية التي يعيشها البطل في العمل الإبداعي فهي :«تسليط الفكرة المجردة في تثمين المقولات النفسية الحياتية الأكثر بساطة باستعراض شخصيات أسطورية كاملة بلغة معناها المجرد تصلنا انفعالات نفسية أسطورية تامة كجواهر مثالية ما, بصرف النظر عن تعقيدات الانفعالات الواقعية الجمة وتناقضاتها »[3].

ومن هذا المنطلق أضفت الكتابات الأدبية من الأسطورة أداة لتربط الفكر الفلسفي بالإقناع «ولم يكن لجوء الرومانتيكيين إلى الأسطورة إلا هروبا من واقع مادي يزدحم بالأشياء المألوفة التافهة إلى عالم غريب حافل بما هو عظيم ورائع بل مدهش، لقد كانت الأسطورة إلى الرومنتيكي تجسيدا لما ينزع إليه من بحث عن عالم بدائي وحشي، ولقد زودت الأسطورة خياله بمادة غنية، لكنها حرمته الرؤية الواضحة وشلت قدرته على التفكير وأبعدته عن الواقع، ولم تحقق لأدبه اقترابات من الأسطورة، إلا بما كان يمتلكه من عفوية وانطلاق»[4].

2- توظيف الأسطورة في الروائية الجزائرية:

ومن خلال ما سبق من سرد العلاقة الشخصية الأسطورية بالنص الأدبي وآليات استحضارها، يمكننا أن نعرض حضور الشخصية الأسطورية في العمل الإبداعي الجزائري النثري منه دون الشعر، وهذا في بعض الروايات المعاصرة وخاصة التي يميل أصحابها إلى الغموض الفني دون الإفصاح .

«إن عودتهم إلى الأسطورة وتوظيفها في رواياتهم سمحت لهم باختراق الممنوع والولوج إلى عوالم غير مألوفة، قصد التحريض عن عوالم مألوفة، وبالتالي أصبح توظيف الأسطورة يخدم الجوانب الاجتماعية والثقافية، إضافة إلى الجوانب الفنية والجمالية »[5].

فالرواية الجزائرية كغيرها من الأعمال الإبداعية قد وظفت الأسطورة لصور متعددة كشخصيات، أماكن، أسماء، أعداد ... ،وهذا لما يقدمه استحضارها إلى الجانب الفني والجمالي ,وكذلك لما تحمله من رمزية يسعى المبدع إلى إبرازها من خلال هذه الأساطير باختلاف أدوات توظيفها لذا « كان الروائيون يستلهمون الأسطورة في أعمالهم بشراهة ... للتدليل على اغتراف العمل الأدبي من الأسطورة من عدمه، فاهتمت الدراسات بالحديث عن التوظيف الأسطوري كأفكار دون الإشارة إلى الاهتمام باللغة التي أوردت الأفكار أو لنقل الاهتمام اللازم ».[6]

فهذا التوظيف الذي نجده في الروايات الجزائرية للأسطورة لم يتوقف عند البعض دون غيرهم، لكن تختلف أساليب التوظيف من روائي لآخر، وهذا حسب ما يقتضيه المقام أو من خلال البعد الفكري والرسالة التي يريد أن يوصلها من خلال هذه الأسطورة للتشابه بينهما وبين الشخصية المعاصرة التي وظفتها الرواية, فقد نجد الأسطورة التي وظفها مرتاض هي نفسها التي استعملها واسيني الأعرج والطاهر وطار، وعمر أزراج لكن برؤى مختلفة حسب ما يقتضيه المقام والمعنى.

3- **توظيف الشخصية الأسطورية في رواية سلالم ترولار**

لقد قام سمير قسيمي باستحضار مجموعة من الشخصيات الأسطورية في روايته، بل سمى بعض فصولها باسم أحد الشخصيات الأسطورية، وهذا لما تحمله من دلالات وأبعاد فنية، كما استطاع قسيمي توظيف هذه الشخصيات في محطات مختلفة ومتعددة، كلما اقتضت طبيعة الفكرة وما تحمله من رسالة للقارئ وما يتناسب معها أثناء عرضها في أحداث الرواية .

– **المسيح:** تعد شخصية عيسى المسيح عليه السلام من أكثر التي نسج حولها كم هائل ومتضارب من الأساطير، إذ فتحت ولادته دون أب وما أجراه الله على يديه من آيات أثناء حياته إضافة إلى الغموض الذي لف مصيره كما يعتقده النصارى – المجال واسعا أمام أسئلة جوهرية متعلقة بكل جوانب حياته وحقيقته، وكيف تحولت هذه الشخصية إلى أسطورة كما تناقلته الثقافات من بعد موته أو صلبه –بزعمهم- فألحق بالإله نسبا أو حلولا، فصار ابن الله عند طائفة، والله ذاته عند طائفة أخرى [7].

كان استحضار شخصية المسيح في رواية سلالم ترولار على شكل شخصية خالدة تذكر متى ذكر الله لأنه هو الله « مثلما ظهر ابن الله هو المسيح وشريكه هو روح القدس، ظهر للإله الرئيس إخوة وشركاء، بشكل أو بآخر، حدث في المدنية الدولة ما لم يتوقعه أحد حين نزل ملكوت السماء إلى الأرض بكل ما فيه من عرش وملائكة وشياطين وجنة وجحيم»[8].

فقد جاءت شخصية المسيح في هذه الرواية لشخصية الرئيس الذي سيعيش للأبد، فأصبحت شخصية الرئيس أبدية لا يمكن أن تغيب بأي حال من الأحوال لوجود العوامل المساعدة لبقائها وديمومتها ولعل ما يجعل من توافق صورة المسيح هي صورة الرئيس على شكل لوحة ذهبية « وفي لحظة اختارها الأرباب بعناية توقف عن الظهور تحل محله صورة كبيرة في إطار ذهبي، كانت تعلق في كل مكان يفترض أن يتواجد فيه، حتى مسار رفي اعتقاد الناس أنه منشغل بمشاكلهم »[9].

وهذا المعتقد هو موجود عند النصارى بأن صلب المسيح هو عبارة عن كفارة لأخطاء الأتباع فهو يرعاهم رغم غيابه.

فهذه الصورة التي تجسدها الرواية للإله البطل هي نفسها استعارها بعض الشعراء في توظيف شخصية المسيح كإله ملهم بين الظهور والغياب،

يقول نزار قباني:

" وفجأة .. كالسيد المسيح بعد موتنا نهضنا" [10].

فالمسيح في المعتقد النصراني هو من ينشر الطمأنينة في الناس«يقرأ في كل ظهور له رسالة أو بيان اله للإله الرئيس شعر الناس بطمأنينة كل مؤمن بحق »[11].

فهذه الصورة التي استطاع سمير قسيمي أن يرسمها هي عبارة عن صورة الإله البطل وهو مزيج من الإنسان والآلهة، مهمته الحرص على الناس لما يمتاز به من صفات الألوهية فهو بما له من صفات إلهية يحاول أن يصف إلى مصاف الآلهة، لكن صفاته الإنسانية تجعله عائدا إلى العالم الأرضي.[12]

فقد استنفرت هذه الشخصية لإسقاطها على شخصية الرئيس الذي غاب عن المجتمع منذ 2014 وهو يقود الأمة رغم اختفائه عن الأنظار، فهذا التناسخ والحلول بين الذات البشرية مع الروح الإلهية سيقود الأمة إلى الأبد مع الإيمان القاطع ببقائها للأبد.

«ولكن مع ذلك ليس من الضروري أن تكون لهذه الأحداث والمعلومات ما يكفي من الواقعية التاريخية مما قد يسمح بإمكانية الاعتماد عليها كحقائق تاريخية، فالأكثر أهمية فيما نحن بصدده هي أحداث ظهور المسيح بعد بعثه من الموت»[13].

– **الزومبي:** هذه الشخصية الغريبة التي أثارت جدلا كبيرا في الوسط الروائي باعتبارها شخصية خارقة للعادة والمألوف فينظر إليها الفرد الغربي (الأوربي) على أنها شخصية عبودية لرجل أسود كالميت ليصبح بعدها رجلا عظيما زعيما في قومه وأمته.

اقتبس سمير قسيمي هذه الشخصية ليعرضها على الواقع الجزائري بصفته الرئيس الذي كان خارج الوطن ليصبح بعدها زعيما روحيا لا حياة للجزائريين من دونه.

« بعد عقود من ذلك قُبر الرجل الأفضل، ليبعث كائنا زومبيا يعتقد الحياة وهو ميث... وكانت تلك ثاني خدعة يقوم بها أحدهم على الإطلاق»[14].

في هذا الموقف يصور قسيمي هذه الشخصية المخلّصة بعد مجيئها وخاصة في المرحلة الثانية قبل النهاية -صورة الموتى الأحياء - فهذه الشخصية هي عبارة عن الجثة المتحركة التي أثارتها وسائل سحرية... لوصف شخص منوم مجرد من الوعي الذاتي.[15]

فالرجل الزومبي الذي دعت تفاصيل الرواية إلى أن يكون أداة لنقل المجتمع الجزائري من صورة البؤس إلى الحياة السعيدة رغم غيابه وعدم مشاهدته لتنتقل هذه الشخصية من زعيم مناهض إلى رجل فار من غضب الشعب لتصور صورة الحراك الشعبي, « وكانت قد حملت رئيسها الزومبي معها وركبت كل ما وجدته من بواخر ومراكب، بعد أن تأكد لها استحالة السفر جوا فلم يكن بمقدور أي طائرة التحليق بغير أبواب».[16]

لتتحدث الرواية عن بداية رحلة هذه الآلهة، وأنصاف الآلهة مع زعيمها الزومبي، الميت الحي «حتى وإنه لأول مرة منذ رحيلها خلف البحر ظهرت الآلهة الفارة مع زعيمها الزومبي تناشد الشعب العظيم بتوخي الحذر والتعقل»[17] .

فشخصية الزومبي هذه في الحقيقة صورة الرجل السياسي الذي فجأة أصبح زعيما وأُستغل عجزه لتتحكم أنصاف الآلهة في الشعب، هذه الآلهة التي لم تكن تعتقد يوما أنها ستغادر البلاد، فهذا الصراع السياسي بين الآلهة وأنصاف الآلهة وبين آلهة من الدرجة الأولى والشعب الميت جاءت شخصية البطل الزومبي فجأة لتكون أداة في أيدي آلهة الطبقة الثانية .

– **أولغا:** شخصية أولغا هي شخصية أسطورية مستوحاة من التراث الروسي، اختار سمير قسيمي هذا الاسم "لحورية"، هذا الاسم الذي يحمل في طياته عدة معاني تجسدت في شخصية أولغا والتي أحبها إمبراطور اليونان وهي لم تحبه وهي أرملة ولم يتزوج منها لدواعي أوهمته بها كبر سنه، ومرضها الخفي «سأدعوك أولغا... أولغا؟ نعم اسم يليق بك بلا شك، وافقت بلا تردد أوهمته أنها معجبة بهذا الاسم الجديد فقط لأنها كما رآها تشبه النساء الروسيات في البياض وقوة الجسم وافقته من دون أن تذكر شيئا بخصوص مرضها بالبرص الذي جعلها على هذا اللون غير الطبيعي»[18].

فهذه الشخصية التي ألبسها قسيمي صورة المرأة الحديدية الصلبة التي استطاعت أن تتحكم في دواليب الحكم والسياسة رغم أنها ليست من أقارب الساسة إلا وقوع أحد المسؤولين في حبها وأطلق عليها اسم الأميرة وراج هذا الاسم بين الناس « لم تحتج المشيئة إلا لمزحة بذيئة ولعقدين من الزمن لتتمكن من شطب ما كتب الرجل الطيب في السجل المدني، ويصير اسم حورية في ألسن الناس أولغا»[19].

هذه الصورة جعلت من شخصية حورية شخصية أسطورية بعدما تبنت شخصية أولغا هذه الشخصية التي استطاعت أن تكون الأقرب إلى الحكم بعدما كانت تعيش حياة بائسة بعدما فرضت سيطرتها على الكثير من الجوانب وإذعان الآلهة لها, لذا فإنه يعتقد أن آثار نشاطها الإداري والاقتصادي لم يتجلى إمارات محددة دون غيرها[20].

اختار قسيمي هذه الشخصية لما تحمله من خبث في ذاتها وتلاعب برجال السياسة, فهي الأميرة الخفية والتي تعرف خبايا الأمور فرغم تجاوزاتها إلا أنها فوق القانون « كل شيء يُغفر لها، كل ظلم حتى تلك القرارات التي لا يمكن فهمها، يكفي فقط أن تبتكر من أجلها صاحب عمامة أو لحية ليذكر الناس بضرورة التسليم المطلق والإيمان بأن ظلم المشيئة مجرد عدل لا يفهمه العقل القاصر»[21].

فاستدعاء هذه الشخصية التي أصبحت فجأة لها السلطة وكل التصرف وتبرير أخطائها بدعوى أنها قضاء وقدر لتلميح لوجود فساد سياسي قد هيمن واستطاع استغباء الشعب المظلوم، كما تحمل في طياتها رمزا استغلاليا لرجال الدين الذين يبررون أخطاء الآخرين تحت سلطة القدر.

- **إيلاغين:**

رجل أسطوري يُعتقد أنه أول من سكن شمال إفريقيا وأول من سكن الجزائر العاصمة، رجل ظهر فجأة بحياة غريبة إذ انتقل بسرعة من عصر التخلف إلى عصر التطور والسرعة، هذا الرجل الذي يعتبر العقل المدبر في كثير من الأمور التي ستغير مجرى الحياة الاجتماعية، فهو صورة للرجل غير ثابت –الحركي- «بينما كان إيلاغين ينظر إلى الأفق خُيل إليه أنه يرى قاربا يحمله الموج إلى الضفة فوقف على أصابع قدميه، ومد عنقه محاولا معرفة وجهة القارب بالضبط، تراءى له جسد متمدد داخله، وظهر له بأن الريح والموج يسيرانه إلى صخور بحرية، تقع فيما يعرف اليوم بـ: بولوغين»[22] .

هذه النظرة المفاجأة كانت بسبب جلوسه في موقع استراتيجي « كان جالسا في المكان الذي سيصبح لاحقا أول سلم من سلالم ترولار السبعة ينظر إلى البحر لا يفكر في شيء محدد»[23].

هذه الشخصية الأسطورية التي تمثل العقل والتفكير، أريد لها النهاية حتى لا تكون سببا في فوضى عارمة داخل أفراد الأسرة « ما أسعدك بموتك يا إيلاغين، وبلا مقدمات طعنه وضمه إليه حتى فارق إيلاغين الحياة »[24].

هذه الشخصية الأسطورية استطاع الكاتب أن يعطيها هذه الصورة الرائعة للتفكير السياسي في الواقع، هي مخافة السياسة من كل عقل مفكر للتغيير أوكشف أسرار اللعبة .

الخاتمة:

وظفت رواية سلالم ترولار مجموعة من الشخصيات الأسطورية لتتقمص دور بعض الشخصيات السياسية في الواقع الجزائري، حيث تشارك معها في الدور والعمل، كما وفق سمير قسيمي في استدعاء هذه الشخصيات الأسطورية التي جمعت بين تاريخها وموافقتها للواقع المعاصر الذي جرت في أحداث الرواية.

الهوامش والإحالات:

[1] سيد القمني، الأسطورة والتراث، مؤسسة الهنداوي، مصر، د ت، 2020، ص21.

[2] أحمد زياد محبك، الأسطورة ومجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب ودمشق، سوريا العدد:172، 1985م.

[3] ألكسي لوسيف، فلسفة الأسطورة، تر: منذر بدر حلوم، دار الحوار للشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2000، ص49.

[4] فيشر أرنيست، الاشتراكية والفن، تر: أسعد إبراهيم حليم، كتاب الهلال، القاهرة مصر، العدد 183، 1966، ص143.

[5] لزهر مساعدية،الحضور الأسطوري في الرواية الجزائرية المعاصرة، روايات واسيني الأعرج والطاهر وطار أنموذجا أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2011 /2012، ص 269.

[6] لزهر مساعدية، اللغة الأسطورية في الرواية الجزائرية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 09، ع02، 2020، ص 63.

[7] عبد الحليم مخالفة، تجليات الأسطورة في أشعار نزار قباني السياسية دراسة تطبيقية في نماذج، منشورات السائحي ، الجزائر، ط1، 2012، ص 114.

[8] سمير قسيمي، سلالم تروﻻر، مكتبة المتوسط والجزائر، 2019، ص67.

[9] المصدر نفسه، ص 66.

[10] نزار قباني، الأعمال السياسية، منشورات نزار قباني، لبنان، ط6، 2000، ص 222.

[11] سمير قسيمي، الرواية، ص67.

[12] نبيلة إبراهيم،أشكال العبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، مصر، د ط، دت، ص 22.

[13] جورج إدوارد إفري، أسطورة المسيحية،بين الحقيقة والخيال، تر: عادل أسعد الميري، آفاق للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015، ص 20.

[14] سمير قسيمي، الرواية، ص34.

[15] ينظر الموقع: https://ar.wikipedia.org/

[16] سمير قسيمي، الرواية، ص 78.

[17] المصدر نفسه، ص 80.

[18] المصدر نفسه، ص24

[19] المصدر نفسه، ص 38

[20] ينظر الموقع: https://ar.wikipedia.org/

[21] سمير قسيمي، الرواية، ص 39.

[22] المصدر نفسه، ص 124.

[23] المصدر نفسه، ص132.

[24] المصدر نفسه، ص129.